

روح المعاني

قصارى ما في الحديث الأول على تقدير ثبوته إثبات أنها عالمه إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدين وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضته عليه الصلاة والسلام ولعلمه صلى الله عليه وسلم أنها لا تبقى بعده زمنا معتدا به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك ولو علم لربما قال : خذوا كل دينكم عن الزهراء وعدم هذا القول في حق من دل العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليته وإلا لكانت عائشة افضل من أبيها رضي الله تعالى عنه لأنه لم يرو عنه في الدين إلا قليل لقله لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن قوله E : إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي لا يفترقان حتى يردا على الحوض يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى كيف لا وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيدة تلك العترة ! .

وأما الثاني فلأن الحديث الثاني معارض بما يدل على أفضلية غيرها رضي الله تعالى عنها عليها فقد أخرج ابن جرير عن عمار بن سعد أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين بل هذا الحديث أظهر في الأفضلية وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف لان ذلك الخبر وإن كان ظاهرا في الأفضلية لكنه قيل ولو على بعد : إن آل في النساء فيه للعهد والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الاخبار ولم يقل مثل ذلك في هذا الحديث . وأما ثالثا فلأن الدليل الثالث يستدعي أن يكون سائر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لأن مقامهم بلا ريب ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم فلو كانت الشركة في المنزل مستدعية للأفضلية لزم ذلك قطعاً ولا قائل به .

وبعد هذا كله الذي يدور في خلدي أن أفضل النساء فاطمة ثم عائشة بل لو قال قائل إن سائر بنات النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عائشة لا أرى عليه بأسا وعندي بين مريم وفاطمة توقف نظرا للأفضلية المطلقة وأما بالنظر إلى الحيثية فقد علمت ما أميل إليه وقد سئل الإمام السبكي عن هذه المسألة فقال : الذي نختاره وندين الله تعالى به أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم أفضل ثم أمها ثم عائشة ووافقه في ذلك البلقيني وقد صح ابن العماد أن خديجة أيضا افضل من عائشة لما ثبت أنه E قال لعائشة حين قالت : قد رزقك الله تعالى خيرا منها فقال لها : لا والله ما رزقني الله تعالى خيرا منها آمنت بي حين كذبتني الناس واعطتني ما لها حين حرمني الناس وأريد هذا بأن عائشة أقرأها السلام النبي صلى

اﻟﻌﺎﻟﻰ ﻋﻠﻴﻪ ﻭﺳﻠﻢ ﻣﻦ ﺟﺒﺮﻳﻞ ﻭﺧﺪﻳﺠﻪ ﺃﻗﺮﺁﻫﺎ ﺍﻟﺴﻼﻡ ﺟﺒﺮﻳﻞ ﻣﻦ ﺭﺑﻬﺎ ﻭﺑﻌﻀﻬﻢ ﻟﻤﺎ ﺭﺁﻯ ﺗﻌﺎﺭﺽ
ﺍﻻﺩﻟﺔ ﻓﻲ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﻤﺴﺌﻠﺔ ﺗﻮﻗﻒ ﻓﻴﻬﺎ ﻭﺇﻟﻰ ﺍﻟﻮﺗﻘﻒ ﻣﺎﻝ ﺍﻟﻘﺎﺿﻲ ﺍﺑﻮ ﺟﻌﻔﺮ ﺍﻻﺳﺘﺮﻭﺷﻨﻲ ﻣﻨﺎ ﻭﺫﻫﺐ
ﺍﺑﻦ ﺟﻤﺎﻋﺔ ﺇﻟﻰ ﺃﻧﻪ ﺍﻟﻤﺬﻫﺐ ﺍﻻﺳﻠﻢ .

ﻭﺃﺷﻜﻞ ﻣﺎ ﻓﻲ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺒﺎﺏ ﺣﺪﻳﺚ ﺍﻟﺜﺮﻳﺪ ﻭﻟﻌﻞ ﻛﺜﺮﺓ ﺍﻟﺄﺧﺒﺎﺭ ﺍﻟﺘﺎﻃﻘﺔ ﺑﺨﻼﻓﻪ ﺗﻬﻮﻥ ﺗﺄﻭﻳﻠﻪ
ﻭﺗﺄﻭﻳﻞ ﻭﺍﺣﺪ ﻟﻜﺜﺮﺓ ﺃﻫﻮﻥ ﻣﻦ ﺗﺄﻭﻳﻞ ﻛﺜﻴﺮ ﻟﻮﺍﺣﺪ ﻭﺍﻟﻌﺎﻟﻰ ﻫﻮ ﺍﻟﻬﺎﺩﻱ ﺇﻟﻰ ﺳﻮﺍﺀ ﺍﻟﺴﺒﻴﻞ
ﻳﻤﺮﻳﻢ ﺍﻗﻨﺘﻲ ﻟﺮﺑﻚ ﺍﻟﻈﺎﻫﺮ ﺍﻧﻪ ﻣﻦ ﻣﻘﻮﻝ ﺍﻟﻤﻼﺋﻜﺔ ﺍﻳﺸﺎ ﻭﺻﻮﻫﺎ ﺑﺎﻟﻤﺤﺎﻓﻈﺔ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﺑﻌﺪ ﺃﻥ
ﺃﺧﺒﺮﻫﺎ ﺑﻌﻠﻮ ﺩﺭﺟﺘﻬﺎ ﻭﻛﻤﺎﻝ ﻗﺮﺑﻬﺎ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﻌﺎﻟﻰ ﻟﻨﻼ ﺗﻔﺘﺮ ﻭﻻ ﺗﻐﻔﻞ ﻋﻦ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩﺓ ﻭﺗﻜﺮﻳﺮ
ﺍﻟﻨﺪﺍﺀ ﻟﻼﺷﺎﺭﺓ ﺇﻟﻰ ﺍﻟﺌﺌﺎﺀ ﺑﻤﺎ ﻳﺮﺩ ﺑﻌﺪ ﻛﺄﻧﻪ ﻫﻮ ﺍﻟﻤﻘﺴﻮﺩ ﺑﺎﻟﺬﺍﺕ ﻭﻣﺎ ﻗﺒﻠﻪ ﺗﻤﻬﻴﺪ ﻟﻪ .
ﻭﺍﻟﻘﻨﻮﺕ ﺇﻃﺎﻟﺔ ﺍﻟﻘﻴﺎﻡ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﻗﺎﻟﻪ ﻣﺠﺎﻫﺪ ﺃﻭ ﺇﺩﺍﻣﺔ ﺍﻟﻄﺎﻋﺔ ﻗﺎﻟﻪ ﻗﺘﺎﺩﺓ ﻭﺇﻟﻴﻪ ﺫﻫﺐ
ﺍﻟﺮﺍﻏﺐ ﺃﻭ ﺍﻻﺧﻼﺹ ﻓﻲ ﺍﻟﻌﺒﺎﺩﺓ ﻗﺎﻟﻪ ﺳﻌﻴﺪ ﺑﻦ ﺟﺒﻴﺮ ﺃﻭ ﺃﺻﻞ ﺍﻟﻘﻴﺎﻡ ﻓﻲ ﺍﻟﺼﻼﺓ ﻗﺎﻟﻪ ﺑﻌﻀﻬﻢ
ﻭﺍﻟﺘﻌﺮﺽ ﻟﻌﻨﻮﺍﻥ ﺍﻟﺮﺑﻮﺑﻴﺔ ﻟﻼﺷﻌﺎﺭ ﺑﻌﻠﺔ